﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ وَنُرِيَ فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا مِنْهُم مَّا كَانُوا۟ يَحْذَرُونَ ٦﴾ [القصص: 6]

❁ مُناسَبَةُ الآيَةِ لِما قَبْلَها:

من آيات الله الواعظة هلاك الظّالمين على أيدي المستضعفين

بعد أن بيَّنَتِ الآياتُ السابقة عُلوَّ فرعون في الأرض واستضعافَه بني إسرائيل، بتقتيل أبنائهم واستحياء نسائهم، وبعد أن ذكرت إرادة الله تعالى أن يمنَّ عليهم بأن يجعلهم أئمَّةً، ويجعلهم الوارثين لفرعون وملكه - تأتي هذه الآية لِتُبيِّن أنَّ الله تعالى أراد - بالإضافة إلى ذلك - أن يمكِّن لهم في الأرض التي ورثوها، وأن يُهلِك فرعونَ وأَشْياعَهُ على أيديهم، لتكون تلك الأنباء موعظةً وذكرى للناس أجمعين.

❁ شَرْحُ المُفْرَداتِ:

1) ﴿وَنُمَكِّنَ﴾: (مكن) كَلِمَةٌ واحِدَةٌ[1]، "يقال: مَكَّنْتُه ومكّنت له فتمكّن، قال تعالى: ﴿وَلَقَدْ مَكَّنَّٰكُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ [الأعراف: 10]"[2]، و"المعنى المحوريُّ: رسوخ الشَّيء متجمعًا (من دقائق) في باطن يلتئم عليه، والتَّمكين من الشَّيء (إنالة) ما يصحُّ به الفعل من الآلات والقوَى، وهو أتمُّ من الإقدار، لأنَّ الإقدار إعطاء القدرة خاصَّةً، والقادر على الشَّيء قد يتعذر عليه الفعل لعدم الآلة"[3]. والمراد في الآية: نُطلِق أيديَهُم في حكم البلاد التي ورثوها من الظّالمين.

2) ﴿وَنُرِيَ﴾: (رأي) " أَصْلٌ يدلُّ عَلَى نَظَرٍ وإبْصارٍ بِعَيْنٍ أَوْ بَصيرَةٍ. والرَّأْيُ: ما يَراهُ الإنْسانُ في الأَمْرِ، وجَمعُهُ: الآراءُ. يقال: رَأَى فُلانٌ الشَّيءَ وراءَهُ، وفَعَلَ ذَلِكَ رِئاءَ النّاسِ، وهوَ أَن يَفعَلَ شَيئًا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (مكن).
(2) الراغب، مفردات القرآن: (مكن).
(3) العسكري، الفروق اللغوية، ص: 111، وجبل، المعجم الاشتقاقي: (مكن).

ليَراهُ النّاسُ"[1]. و"المعنى المحوريّ: لحظ العينِ الشيءَ حال اتجاهها إليه"[2]، وهذه المسمّاةُ بالرُّؤية البصريَّة. وثَمّ ما يعرف بالرُّؤيا المناميَّة، والرؤية بمعنى الرأي، واجتمعا في قوله: ﴿قَالَ يَٰبُنَيَّ إِنِّيٓ أَرَىٰ فِي ٱلۡمَنَامِ أَنِّيٓ أَذۡبَحُكَ فَٱنظُرۡ مَاذَا تَرَىٰۚ﴾ [الصافات: 102]، وأيضًا ما يعرف بالرؤية العلمية، "ومنها: كلّ (أرأيت. أفرأيت. أرأيتم. أفرأيتم. أرأيتك. أرأيتكم)"[3]. والمقصود في الآية: أن يرى فرعون وقومه هلاكهم على يد طفل من بني إسرائيل بأبصارهم.

3) ﴿يَحۡذَرُونَ﴾: (حذر) "أَصْلٌ واحِدٌ، وهوَ مِنَ التَّحَرُّزِ والتَّيَقُّظِ. يُقالُ حَذِرَ يَحْذَرُ حَذَرًا. ورَجُلٌ حَذِرٌ وحَذورٌ وحِذْريانٌ: مُتَيَقِّظٌ مُتَحَرِّزٌ. وحَذارِ، بِمَعْنَى احْذَرْ، ومنه قوله: ﴿وَإِنَّا لَجَمِيعٌ حَٰذِرُونَ ٥٦﴾ [الشعراء: 56]"[4]، و"الحَذَر: احتراز من مخيف، يقال: حَذِرَ حَذَرًا وحذرته، قال تعالى: ﴿يَحۡذَرُ ٱلۡأٓخِرَةَ﴾ [الزمر: 9]"[5]. والمراد: أنَّ فرعون وهامان وجنودهما سيرون من بني إسرائيل ما كانوا يَتوَقَّعُون حصولَه، ويَحولون دون وقوعه.

❁ المَعْنى الإجْماليُّ:

قـد يُـذِلُّ الله الظالمين في الدّنيا بإهلاكهم على أيدي المظلومين

تستمرُّ آيات السّورة الكريمة في بيان ما أراد الله تعالى أن يتفضَّل به على بني إسرائيل، تعويضًا عمّا فعله بهم فرعون وهامان وجنودهما من تقتيل الأبناء واستحياء النِّساء، حيث تبيِّن هذه الآية أنّ الله سبحانه أراد أن يُنعِم عليهم أيضًا بمنحهم أسباب القوَّة والتَّمكين في البلاد التي ورثوا حكمَها من القوم الظّالمين، وأن يذيق فرعون وهامان وجنودهما بأس هؤلاء المستضعفين الذي كانوا

(1) ابن فارس، مقاييس اللغة: (رأى).
(2) جبل، المعجم الاشتقاقي: (رأى).
(3) جبل، المعجم الاشتقاقي: (رأى).
(4) ابن فارس، مقاييس اللغة: (حذر).
(5) الراغب، مفردات القرآن: (حذر).

يخشونه، ويعملون على دفعه والنجاة منه، بأبشع الوسائل وأقبح الجرائم، لكنّ الله تعالى أراد إذلالهم بإهلاكهم على أيدي من ظلموهم واستضعفوهم.

❁ الإيضاحُ اللُّغَويُّ والبَلاغيُّ:

معنى الواو في صدر الجملة:

التمكين للمظلومين يحصل بعد هلاك الظالمين

الواو في قوله تعالى: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ﴾، لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَنَجْعَلَهُمُ ٱلْوَٰرِثِينَ ۝٥﴾ [القصص: 5]، الواردة في قوله: ﴿وَنُرِيدُ أَن نَّمُنَّ﴾ [القصص: 5]، ما يعني أنَّها داخلة في النِّعَم التي أراد الله تعالى الإنعام بها على بني إسرائيل، بعد أن استضعفهم فرعون وجنوده، فقتَّلوا أبناءَهم واستَحْيَوا نساءَهم، حيث سبقها في هذا السّياق نعمتان: أولاهما: أن يكونوا أئمَّةً للناس في أمور الدين، بهم يقتدون وبسببهم يهتدون، والثانية: أن يكونوا الوارثين لمُلك فرعون وجنوده.

دلالة التعبير بالفعل: ﴿وَنُمَكِّنَ﴾:

التمكين يعني إطلاق أيدي المستضعفين

"أصلُ التمكينِ أنْ تجعلَ للشَّيءِ مكانًا يتمكَّنُ فيه"[1]، واختار النظم الكريم مفردة: ﴿وَنُمَكِّنَ﴾ لأنها تدلُّ - بمادَّتها وجَرْسِها - على أنّ اللّهَ تعالى أراد أن يجعل بني إسرائيل مقتدرين على حكم الأرض التي ورثوها، وأراد أن يسلِّطهم على أهلها، وأن يتصرّفوا في إدارة أمورها كيف شاؤوا، والمعنى: نُسلِّطهم على مصرَ والشامِ وغيرهما من البلاد، ونطلق أيديهم في حكمها، يتصرَّفون فيها كيفما يشاؤون.

بلاغة الاستعارة في ﴿وَنُمَكِّنَ﴾:

من نِعَم الله على الحكّام الصالحين أن يجتمع لهم ولاءُ الرَّعيَّة

شبّه النظم الحكيم إطلاق أيدي بني إسرائيل في حكم البلاد التي ورثوها، واستقرارَ أوضاعهم فيها؛ بالتمكين، الذي يعني: جَعْلَ الشيء ثابتًا راسخًا في المكان من غير اهتزاز ولا قلق، ثم حذف

(1) أبو السعود: إرشاد العقل السليم: 5/ 219، والشوكاني، فتح القدير: 5/ 387.

المشبَّه واستعار له فعل التمكين على سبيل الاستعارة التصريحيَّة، التي يتَّضح بها مدى استقرار مُلْك بني إسرائيل في هذه الأرض، وكيف كان حكمهم لها، وتصريفهم لأمورها، وكيف كان الناس يَدينون لهم بالولاء والطاعة، ولا يثورون عليهم، ولا ينازعونهم، وبهذه الصورة التي أبرزَتْها الاستعارة يُعرف وجه المنَّة في حكم بني إسرائيل للأرض التي أورثها الله تعالى لهم.

دلالة التعبير بفعل التمكين مضارعًا:

استحضار الصورة يساعد على الاتعاظ والاعتبار

عبَّر النظم الكريم بالفعل: ﴿وَنُمَكِّنَ﴾ مضارعًا؛ لما يفيده - بجانب تجدُّد التمكين ودوام حصوله - من استحضار الحالة الماضية، التي تتحدَّث عنها السورة الكريمة، كأنّها حاضرة ماثلة، يبدو فيها بنو إسرائيل في وضع الأقوياء المسيطرين على مقاليد الحكم، الآخذين بزمام الأمور، المتسلِّطين عليها، بعد أن كانوا مستضعفين مقهورين، لا يُسمع لهم ولا يَأْبَهُ أحدٌ بهم، ترسيخًا للعبرة، وتمامًا للفائدة.

لطيفة إسناد فعل التمكين إلى ضمير التعظيم:

قُدرةُ الله تُحيل المُستضعف المظلوم قويًّا متمكِّنًا

في إسناد فعل التمكين إلى ضمير الحق سبحانه بصيغة التعظيم في قوله ﴿وَنُمَكِّنَ﴾ تأكيد لحصول التمكين، ووعد من الله تعالى بإتمامه، وفيه إبراز لإرادته الغالبة، وقدرته القاهرة، التي تُحيل المُستَضْعَفَ المظلوم إلى قويٍّ متمكِّن، والظالمَ الجبّارَ إلى ضعيف مقهور، وهو درس من الدروس المهمة، التي يُتلى لأجلها نبأُ موسى وفرعون في كتاب الله الحكيم.

معنى اللام ومرجع الضمير في: ﴿لَهُمْ﴾:

واللام في ﴿لَهُمْ﴾ حرف جرٍّ يفيد الاختصاص، والضمير فيه يعود إلى بني إسرائيل، المُعَبَّر عنهم بـ ﴿ٱلَّذِينَ ٱسْتُضْعِفُواْ﴾ [القصص: 5].

دلالة تقييد فعل التمكين:

في تقييد فعل التمكين بالجارِّ والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ دلالة على أن

ما أهـون زوال ملـك الـظـالمين عـلى الـلـه رب العالمين!

اللّه تعالى يريد أن يختصَّ هؤلاء المستضعفين الذين حدث لهم ما حدث من تقتيل الأبناء واستحياء النساء بنعمة التمكين والحكم، ليرى الناس الفوارق الهائلة بين حكمهم وحكم من استضعفوهم، وليوقِنوا بقدرة اللّه على إذلال الظالمين المستكبرين، وتمكين الضعفاء المظلومين، لهوان ذلك وسهولته عليه سبحانه.

دلالة تقديم ﴿لَهُمْ﴾ على ما بعده:

عـنـايـة الـلـه بالضعفاء دائمة مستمرة

قدَّم الجارَّ والمجرور: ﴿لَهُمْ﴾ على شبه الجملة ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ لأنَّ الاهتمام موجَّه إلى تمكين المستضعفين، وإرادةَ اللّه منصبَّة على رفعة شأنهم، وتغيير أحوالهم من القهر إلى العزِّ، ومن الاستضعاف إلى التمكين، ومن التبعية إلى القيادة، انتصارًا لهم وانتقامًا من عدوِّهم، وتأكيدًا لقدرة اللّه على فعل ذلك في أي زمان ومكان، فالتّقديم لتعجيل ما يسرّهم.

دلالة ﴿فِي﴾ في قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾:

لا يكون التمكين نـعـمـةً إلّا إذا خلا من المناكفة والمقاومة

﴿فِي﴾ في قوله تعالى: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾ حرف جَرٍّ أفاد هنا الظرفيَّة المجازيّة، والتعبير به يدلُّ على أنَّ البلاد التي حكمها بنو إسرائيل، والأرض التي سيطروا عليها كانت لهم كالوعاء، فلم يحصل معهم فيها شيء من المناكفة أو المقاومة أو الإخراج، وأنّ أهلها ومواطنيها كانوا يجتمعون حولهم، ويحيطون به إحاطة الظرف بالمظروف، وأنّ أمورَهم كانت مستقرَّة، وأحوالَهم كانت هادئةً، فدلّ حرف الجرّ على هذه الاستعارة من خلال تشبيه شدّة تغلغلهم في أهل الأرض بالظّرفيّة المكانيّة.

معنى اللام في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾:

واللام في ﴿ٱلْأَرْضِ﴾ يمكن أن تكون للعهد، فيُراد بها: الأرض التي استُضعفوا فيها، وهي: مصر والشام، ويمكن أن تكون للجنس فيراد بها: الأرض كلها، ويدخل فيها مصر والشام دخولًا أوليًّا.

دلالة تقييد فعل التمكين:

من تشريف الله للمظلومين أن يمكنهم في ذات الأرض التي ظُلموا عليها

قُيِّدَ فعل التمكين بقوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ للدلالة على أنَّ الله تعالى يريد أن يختصَّ بني إسرائيل الذين كانوا في قمَّة الاستضعاف والهوان بالقوَّة والتمكين في الأرض كلِّها، أو في ذات الأرض التي استُضعفوا فيها، وذُبِّح أبناؤهم فيها، واستحيا الظالمون نساءَهم عليها - تشريفًا لهم واستهانةً بمن استضعفهم، وتثبيتًا للرسول ﷺ والمؤمنين معه، وتهديدًا للكافرين به المعاندين له.

ترشيح الاستعارة:

قوله: ﴿فِي ٱلْأَرْضِ﴾؛ ترشيح للاستعارة، وتقوية للتمكين بالمعنى المستعار منه، إذ به يُصَوَّرُ حالُ بني إسرائيل في حكم البلاد التي ورثوها بالشجرة الضاربة جذورُها في أعماق الأرض، ما يعني الثباتَ والاستقرارَ وعدمَ التأثُّر بالمخاطر والمصاعب.

معنى (الواو) في جملة: ﴿وَنُرِىَ﴾:

تتابع ذكر النعم يؤدي إلى استحضار قدرة المنعم

الواو في قوله تعالى: ﴿وَنُرِىَ﴾، لعطف ما بعدها على جملة: ﴿وَنُمَكِّنَ لَهُمْ فِي ٱلْأَرْضِ﴾ ما يعني أنها - أيضًا - داخلة في النعم التي تفضَّل الله بها على بني إسرائيل، الذين استضعفوا في الأرض، وبها يبلغ عددُ ما أنعم الله تعالى به عليهم، وبدّل به أحوالهم أربعةَ أمور، **أوَّلها:** جعلهم أئمَّةً، **ثانيها:** جعلهم الوارثين للظالمين بصفة عامَّة ولفرعون وقومه بصفة خاصَّة، **ثالثها:** التمكين لهم في الأرض التي ورثوها، ورابعها: أن يكون زوالُ ملك فرعون وهلاك جنوده بسببهم وعلى أيديهم.

دلالة التعبير بالفعل: ﴿وَنُرِىَ﴾:

وقوله: ﴿وَنُرِىَ﴾ يصحُّ أن يكون بمعنى: الرؤية البصرية، ويجوز أن يكون بمعنى: العلم، والأول أنسب للسّياق وأبرُّ بالمعنى.

دلالة التعبير بفعل الإراءة مضارعًا:

استحضار الصورة الماضية يجعل الألم مضاعفًا والحزن عميقًا

عبر النّظم الكريم بالفعل: ﴿وَنُرِيَ﴾ مضارعًا، لِما يمتاز به التعبير بالمضارع من استحضار الحالة الماضية الحاصلة منذ زمن بعيد كأنَّها ماثلة مُشاهدة، تعمل عملها في نفوس المخاطبين والقارئين في كل عصرٍ وحين، وفيها يبدو فرعونُ وهامانُ وجنودهما وهم يرون حتفهم، ويشهدون زوال ملكهم على يد غلام وُلِد في بني إسرائيل، ويدركون حينها أن قيامَهم بتقتيل الأطفال واستحياء النساء لم يَحُلْ بينهم وبين حدوث المصير المهين الذي كانوا يحذرونه، ويتحاشون حصوله، فيجتمع عليهم نوعان من العقاب أحدهما حسّيٌّ، والآخر نفسيٌّ، فيبلغ عذابهم قمَّته وذروته.

لطيفة إسناد فعل الإراءة إلى ضمير التعظيم:

الله تعالى يتولَّى بنفسه نُصرة المستضعفين المظلومين

وفي إسناد فعل الإراءة إلى ضمير الحق سبحانه بصيغة التعظيم في قوله ﴿وَنُرِيَ﴾ وعد بتمامه وتأكيد لحصوله، لما يفيده ذلك الإسناد من أن الله تعالى سيتولَّى هذا الأمر بنفسه، ويدبِّر لوقوعه بقدرته وحكمته. وفيه كذلك إبراز لقدرة الله القاهرة التي أحالت فرعون وهامان وجنودهما إلى هلكى ومعذَّبين بعد أن كانوا طغاةً قاتلين، وأحالت بني إسرائيل المستضعفين المقهورين إلى حكّام آمنين ممكَّنين، فيطمئنّ إلى جنب الله تعالى الرسولُ والمؤمنون، ويخشى عقابَه وبطشَه الكافرون المتكبِّرون.

توجيه القراءات في جملة: ﴿وَنُرِيَ﴾:

خطران عظيمان يحيطان بالظالمين عند زوال ملكهم

الفعل: ﴿وَنُرِيَ﴾ قرئ بقراءتين[1]، أولاهما: ﴿وَنُرِيَ﴾ بنون العظمة، ونصب الفعل، ونصب ﴿فِرْعَوْنَ﴾، وما عُطف عليه، وهي قراءة الجمهور، وتدلُّ على أن الله تعالى باشر بنفسه، وتولى بعظمته نصرة بني إسرائيل، وهلاك فرعون وهامان وجنودهما على أيديهم، ورتّب له ترتيبًا محكمًا فعذَّبهم وأهلكهم.

(1) ابن الجزري، النشر في القراءات العشر: 2/ 381.

والأخرى – وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف –: ﴿وَيَرَىٰ﴾ بياء الغائب المفتوحة وفتح الراء، على أنه مضارع رأى، ورفع (فِرْعَوْنُ) وما عطف عليه، وهي قراءة حمزة والكسائي وخلف، وتفيد أنّ فرعون وهامان وجنودهما وقعوا فيما كانوا يحذرون، واستحضروا عند رؤيتهم الهلاك والدمار الذي حلَّ بهم فشلَّهم فيما خططوا ودبروا.

والقراءتان تدلّان على أنَّ فرعون وهامان وجنودهما أحاط بهم خطران عظيمان، أحدهما: خارجيٌّ، تدلُّ عليه القراءةُ الأولى، والآخر: نفسيٌّ، تدلُّ عليه الثانيةُ.

دلالة التّعدية إلى: ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾:

عُدّيَ الفعل: ﴿وَنُرِىَ﴾ إلى ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ دون غيرهم من أهل الأرض، التي استُضْعِف فيها بنو إسرائيل؛ وعُطفوا بالواو التي تفيد المشاركة؛ لأنَّ ثلاثتهم كانوا الضالعين في الاستضعاف، القائمين بتقتيل الأبناء واستحياء النساء، وكان لكلٍّ منهم فيه دورٌ فاعلٌ، وأثرٌ بارزٌ.

ذِكْرُ أسماء الظالمين الهالكين يبث الرعب في قلوب من يحذو حذوهم

بجانب ما في ذِكْرِهم من بثِّ الرعب في قلوب المشركين الذين يناوئون الرسول ﷺ والمؤمنين، والذين لا يبلغون مبلغهم بأي حال من الأحوال.

لطيفة الترتيب بين: ﴿فِرْعَوْنَ وَهَٰمَٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾:

وبدأ النظم الكريم بفرعون؛ لأنَّه كان أكثرهم استفادةً من الاستضعاف، وأشدَّ حرصًا عليه، إذ كان خطر بني إسرائيل يَمَسُّ ملكه ويطول شخصَه بصورة مباشرة، كما أنَّ التّقتيل والاستحياء لا يمكن أن يحصلا في أرضه إلا بإذنه وأمره. وثنّى بهامان؛ لأنَّه كان وزيره وشريكه في التخطيط، والمسؤول الأوَّل عن التنفيذ، والمستفيد الثاني من استضعاف بني إسرائيل.. وأعقبه بالجنود لأنَّهم الأداة التي توصَّل بها فرعون وهامان إلى تحقيق ما يريدانه من الظّلم

عقاب الظالمين يشمل كل من شارك في الظلم بأية صورة وبأي مقدار

والبطش، والوسيلة التي حصل بها الاستضعاف، ولولاهم ما حدث تقتيل الأبناء، ولا تمّ استحياء النساء.

دلالة إضافة الجنود إلى ضمير ﴿فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ﴾:

في قوله ﴿فِرْعَوْنَ وَهَـٰمَـٰنَ وَجُنُودَهُمَا﴾ "أضاف الجنود إلى ضمير فرعون وهامان تغليبًا، أو لأنَّ هامانَ له جنودُه كما لفرعون جنودُه، أو لأنَّ جند السلطان هم جند الوزير أيضًا"[1]، وفيه دلالة على أنَّ الجنود كان لديهم حرص على التقتيل والاستحياء يماثل حرص فرعون وهامان، فكأنَّهم وضعوا أنفسهم في موضعهما، وقاموا بما يريدانه على الوجه الذي يريدانه، فنالهم من العقاب ما نالهما. وثَمَّ دلالة أخرى على أنَّه لا فرق في العقوبة بين الظالم وآلته من الجند المساعدين.

لا فرق في العقوبة بين الظالم وجنده

دلالة حرف الجرّ ومرجع الضمير:

(مِنْ) في ﴿مِنْهُم﴾ حرف جرٍّ يمكن أن يكون هنا لابتداء الغاية، ويمكن أن يكون للسببيَّة، والضمير (هُمْ) فيه يعود على المستضعفين (بني إسرائيل).

فإذا كان (مِنْ) لابتداء الغاية، فالمعنى: إنَّ هلاك فرعون وهامان وجنودهما ستكون بدايته بولادة موسى ﷺ فيهم، ثم إرساله إلى فرعون، ثم ارتفاع أمره، ثم هلاك فرعون وجيشه في اليمِّ عندما حاولوا ملاحقة موسى وبني إسرائيل.

وإذا كان للسببيَّة، فالمعنى: إن هؤلاء المستضعفين سيكونون سببًا في هلاك فرعون وهامان وجنودهما، على الرغم من ضعفهم، وقلَّة حيلتهم.

هلاك الظالمين قد يكون بسبب وقد يكون بغير سبب

دلالة تقديم ﴿مِنْهُم﴾:

قُدِّمَ الجارُّ والمجرور ﴿مِنْهُم﴾ على المفعول الثّاني ﴿مَّا كَانُواْ يَحْذَرُونَ﴾، اهتمامًا بحصوله من المستضعفين، وتأكيدًا لمباشرتهم

تشريف المستضعفين والتعجيب من قدرة الله على الظالمين

(1) الشهاب الخفاجي، عناية القاضي وكفاية الراضي: 7/ 63، والآلوسي، روح المعاني: 10/ 255.

له أو كونهم سببًا فيه، تشريفًا لهم، وتعجيبًا من قدرة الله تعالى على الطغاة الظالمين.

عِلَّة التعبير بالاسم الموصول ﴿مَّا﴾:

﴿مَّا﴾ في قوله تعالى ﴿مَّا كَانُواْ يَحۡذَرُونَ﴾ اسم موصول في محلِّ نصب مفعول به ثان للفعل: ﴿وَنُرِيَ﴾، عبَّر به النظم الكريم دون المفعول الصَّريح؛ لما يفيده - بمعناه وبنائه المختوم بألف المدِّ - من تهويل المفعول وتفخيمه، وليتوصَّل بما في حَيِّزه من جملة الصلة إلى أنّ هذا المصير كان يُكدّر عيش فرعون وأشياعه، فكانوا مشغولين بتوقّيه، والتدبير للنجاة منه، فارتكبوا أبشع الجرائم، واستخدموا أَخَسَّ الوسائل، ومع ذلك لم ينجُ من هذا المصير أحد منهم، ولو عبَّر بالمفعول الصَّريح فقيل: (ونُري فرعون... منهم القتل والتنكيل)، لَفُهِم أنَّهم عاشوا آمنين مطمئنّين إلى أن حدث ذلك فجأةً لهم من بني إسرائيل، ولَفاتَ معنى الحذر المنبئ عن الرُّعْب والخوف الذي تملَّكهم طيلة حياتهم من هذا المصير، والفرق بين التركيبين جدٌّ كبير.

الظالمون يعيشون في خوفٍ وذعرٍ طيلة حياتهم

دلالة التعبير بـ ﴿كَانُواْ﴾ ماضيًا:

التَّعبير بالفعل ﴿كَانُواْ﴾ يدلُّ - بزمانه ومادَّته - على أنَّ الخوف والهلع من الهلاك على يد غلام من بني إسرائيل قد تمكَّن من فرعون وهامان وجنودهما، وسيطر عليهم، وأصبح ملازمًا لهم لا ينفكُّ عنهم، كأنَّه غريزةٌ فيهم، وفطرةٌ فُطروا عليها.

كأنَّ الخوفَ والهلعَ غريزةٌ في الظّالمين وفطرةٌ فُطروا عليها

لطيفة إسناد فعل الكون إلى واو الجماعة:

أُسنِد فعل الكون إلى ضمير الجماعة؛ للإشارة إلى أنَّه لا فرق في الهلع والخوف من الهلاك على يد غلام من بني إسرائيل بين فرعون وهامان وجنودهما، فكلُّهم في أمر الرعب سواء، ومظاهره وعلاماته تبدو عليهم جميعًا بلا استثناء.

الظالمون في الرعب والفزع سواء

دلالة التعبير بالفعل ﴿يَحْذَرُونَ﴾:

في تعبير النظم الكريم بالفعل ﴿يَحْذَرُونَ﴾ الذي تدلُّ مادَّته على: الانتباه وأخذ الحَيْطَة والاحتراس من الوقوع في شيء مخيف؛ دلالة على حرص فرعون وهامان وجنودهما الشَّديد، وتفكيرهم الدائم في توقّي خطر بني إسرائيل، وعملهم الدؤوب لدفعه عنهم، والحَيْلولة دون حصوله لهم.

لا يفتر الظالمون عن التَّفكير والعمل لتوقّي ما يحذرون

دلالة التعبير بـ ﴿يَحْذَرُونَ﴾ مضارعًا:

عبَّر النظم بفعل الحذر مضارعًا؛ للإشارة إلى تَجَدُّدِ حذرهم، واستمرار اتخاذهم وسائلَ متنوعةً، وخطوات متتابعةً، تحول بينهم وبين حصول أي شيء فيه أذى لهم، أو ينتج عنه هلاكهم على يد بني إسرائيل أو بسببهم، وما تقتيل الأبناء واستحياء النساء إلا وسيلة من الوسائل التي اتخذوها لتوقّي ذلك المصير.

تتنوع وسائل الظالمين للوقاية من المصير المحذور

لطيفة إسناد المضارع إلى واو الجماعة:

أُسند الفعل ﴿يَحْذَرُونَ﴾ إلى واو الجماعة، للإشارة إلى أنَّهم كانوا في فعل هذه الوسائل، واتخاذ تلك الخطوات على قلب رجل واحد، وأنَّ الشعور بالخطر والتفكير فيما يحول بينهم وبينه كان يتملَّك فرعون وهامان والجنود بلا استثناء.

الظالمون في الحذر من نتائج ظلمهم شخص واحد

نكتة حذف مفعول ﴿يَحْذَرُونَ﴾:

تقدير الكلام هنا (ما كانوا يحذرونه) فأفاد حذف المفعول هنا التّعميم ليشمل كلّ ما يمكن الحذر منه، فضلًا عن إفادته الإيجاز.

❁ الفُروقُ المُعْجَميَّةُ:

التّمْكين والتَّثْبيت:

من الناحية اللفظيَّة: كلاهما مشتق من فعل متعدٍّ مضعَّف العين على وزن (فعّل).

التمكين يحتاج إلى أسباب والتثبيت أمر معنوي ينبع من النفس أو من الغير

ومن الناحية المعنويَّة، التمكين يعني: إعْطاء ما يَصحُّ بِهِ الفِعْل كائِنًا

ما كانَ من الآلات والعدَد والقوى، ما يعني أنه لا يتمُّ إلّا اذا امتلك الإنسان أسبابًا تساعد عليه، أو منحه أحدٌ الأسباب التي تساعد على حصوله، وكلُّ ما في القرآن منه بالمعنى الثاني، قال تعالى: ﴿إِنَّا مَكَّنَّا لَهُۥ فِى ٱلْأَرْضِ وَءَاتَيْنَٰهُ مِن كُلِّ شَىْءٍ سَبَبًا ﴿٨٤﴾ فَأَتْبَعَ سَبَبًا ﴿٨٥﴾﴾ [الكهف: 84 - 85].

أما التثبيت فيعني: التقوية، وهو أمر معنويٌّ، ليس فيه آلات ولا أدوات، ويمكن أن يكون نابعًا من النفس، كما في قوله تعالى: ﴿وَمَثَلُ ٱلَّذِينَ يُنفِقُونَ أَمْوَٰلَهُمُ ٱبْتِغَآءَ مَرْضَاتِ ٱللَّهِ وَتَثْبِيتًا مِّنْ أَنفُسِهِمْ﴾ [البقرة: 265]، ويمكن أن يكون من الغير، كما في قوله: ﴿يُثَبِّتُ ٱللَّهُ ٱلَّذِينَ ءَامَنُوا۟ بِٱلْقَوْلِ ٱلثَّابِتِ﴾ [إبراهيم: 27].

الإراءة والإعلام:

من الناحية اللفظيَّة، كلاهما مشتقٌّ من فعل متعدٍّ على وزن أفعل.

الإراءة تقتضي الإعلام، والإعلام لا يستلزم الإراءة

ومن الناحية المعنويَّة، فالإراءة تعني: المعاينة والمشاهدة بحاسَّة البصر، وقد تكون بمعنى الإعلام، كما في قوله تعالى: ﴿أَلَمْ تَرَ كَيْفَ فَعَلَ رَبُّكَ بِأَصْحَٰبِ ٱلْفِيلِ ﴿١﴾﴾ [الفيل: 1]، عندما يكون الوصف دقيقًا والآثار باقية، وهي أقوى من الإعلام وآكَدُ.

أمّا الإعلام فهو إحاطة لا تشمل الإراءة، ويختصُّ بالإخبار السريع، وهو بخلاف التعليم الذي يستغرق وقتًا ويستلزم التَّكرار.

الحذر والخوف:

الحذر يدفع الضرر، أما الخوف فلا يدفعه

من الناحية اللفظيَّة: الأوَّل مشتقٌّ من الثلاثي الصحيح (حذر) والثاني مشتقٌّ من الثلاثي معتل الوسط (خاف)، ومن الناحية المعنويَّة: الحذر هوَ: توقِّي الضَّرَر، سَواء كانَ مظنونًا أَو متيقَّنًا، والخَوْف توقُّع الضَّرَر المَشْكوك في وُقوعه.

والحذر يدْفع الضَّرَر، أما الخَوْف فلا يَدْفَعهُ، ولِهَذا يُقال: خُذ حذرك، ولا يُقال: خُذ خوفك[1].

(1) أبو هلال العسكري: الفروق اللغوية، ص: 240.

عنوان الكتاب:
موسوعة التفسير البلاغي، المجلد الأربعون،
سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
مجمع القرآن الكريم بالشارقة، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
*
التنفيذ والنشر: منشورات القاسمي، الشارقة، دولة الإمارات العربية المتحدة
سنة الطبع: 1446هـ - 2024م
©حقوق الطبع والنشر محفوظة لمنشورات القاسمي
الطبعة الأولى: 2024م
*
الفهرسة الوصفية أثناء النشر:
مكتبة الشارقة العامة، هيئة الشارقة للكتاب، الشارقة، الإمارات العربية المتحدة

227.366
م ق. ت
التفسير البلاغي للقرآن: المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20
[إشراف مجمع القرآن الكريم، قسم الدراسات والبحوث ؛ المدير العلمي امحمد صافي المستغانمي].-
الشارقة، الإمارات العربية المتحدة : منشورات القاسمي، 2024.
مج. 40 ، 804 صفحة؛ 24x17 سم.
ردمك : 978-9948-732-90-7
يشتمل على ارجاعات ببليوجرافية.
مج. 40 : المجلد الأربعون، سورة النَّمْلِ من الآية 26 إلى سورة القصص الآية 20.
1-القرآن - تفاسير نحوية 2- القرآن، بديع 3- القرآن، بلاغة 4- القرآن - سور وآيات 5- القرآن-
ألفاظ أ- العنوان ب - مجمع القرآن الكريم (الشارقة، الإمارات العربية المتحدة).
قسم الدراسات والبحوث

الترقيم الدولي : 978-9948-732-90-7
*
إذن طباعة رقم: MC-03-01-9294238 بتاريخ 2024/12/16م،
مكتب تنظيم الإعلام، وزارة الثقافة والشباب، الإمارات العربية المتحدة
*
الفئة العمرية : E
«تم تصنيف وتحديد الفئة العمرية التي تلائم محتوى الكتب وفقاً لنظام التصنيف العمري
الصادر عن المجلس الوطني للإعلام»
*
الطباعة: AL Bony Printing Press - Sharjah, UAE
الإخراج الفني: عاصم محمد زكي «النجار»